دلالات فَعْلان وفَعيل في البسملة

الأستاذ المساعد الدكتور
اسعد خلف العوّادي
جامعة ذي قار ـ كلية التربية للعلوم الإنسانية

دلالات فَعْلان وفَعيل في البسملة

الأستاذ المساعد الدكتور
اسعد خلف العوَادي
جامعة ذي قار- كلية التربية للعلوم الإنسانية

مقدمة:-

إن هذا البحث تناول موضوعاً تأتي أهميته من كون موضوعه اشرف الموضوعات للدراسة والبحث وهو كلمتان من كلمات الله تعالى التي لا تنفد، وهما اسمان من أسمائه الحسنى تبارك بها، وهما (الرحمن الرحيم) اللذان كان فيهما من الأسرار ما لا تدركه العقول في لفظهما ومعناهما مفردتين أو مجتمعتين، واختيارهما أنفسهما لا غيرهما، فلذلك اختلف العلماء وكثرت الآراء في دلالاتهما.

فحاولنا في هذا البحث أن نجمع ما قيل من الآراء في تفسير دلالة الرحمن الرحيم لنستطيع أن نلم، ولو بالشيء اليسير بدلالة الصيغتين، فاعتمدنا على مصادر كان اغلبها من المعجمات اللغوية وكتب تفسير القرآن الكريم القديمة والحديثة. فقسمنا البحث تبعاً للدلالات التي فُسّرت بها هاتان الصيغتان فدرسنا دلالتهما على التجدد و الثبوت. ودلالتهما على العموم والخصوص. ودلالتهما على المبالغة في الرحمة. ودلالتهما على معنى واحد هو الرحمة.

معنى (الرحمن الرحيم) اللغوي:

الأصل الاشتقاقي لهاتين اللفظتين الكريمتين هو الرحمة، كما يتبين ذلك من المعاجم العربية، والرحمة تعني الرقة والتعطف والمرحمة مثله، وقد رحمه بالكسر رحمة ومرحمة أيضاً، وترحم عليه وتراحم القوم رحم بعضهم بعضا[1]. و(رحم) الراء والحاء والميم واحد يدل على الرقة والعطف والرأفة،

يقال: رحمه يرحمه إذا رق له وتعطف عليه، والرحم والمرحمة والرحمة بمعنى[٢].

ومن ذلك يتبين أن كلمتي الرحمن والرحيم مشتقتان من الرحمة وهي المصدر، فمادة الكلمة هي: (رح م) وفعلها: (رحم) و اسم الفاعل فيها هو: (الراحم) أما وزنهما فإن رحمن التي أصلها: (الرحمان) مبنية على وزن فعلان، ورحيم مبنية على وزن فعيل فقد جاء في جامع البيان: (أما الرحمن، فهو فعلان، من رحم، والرحيم فعيل منه. والعرب كثيرا ما تبني الأسماء من فعل يفعل على فعلان، كقولهم من غضب غضبان، ومن سكر سكران، ومن عطش عطشان، فكذلك قولهم رحمن من رحم))[٣] وقال الطبرسي (ت٥٦٠هـ): ((الرحمن الرحيم اسمان وُضعا للمبالغة، واشتُقّا من الرحمة، وهي النعمة...)) [٤] و قال السيد الخوئي (ت١٤١٣هـ): ((الرحمن: مأخوذ من الرحمة، ومعناها معروف، وهي ضد القسوة والشدة))[٥] و قال السيد السبزواري (ت هـ): ((الرحمن الرحيم هما من الرحمة ومن مشتقاتهما))[٦] و قال السيد محمد باقر الحكيم (ت١٤٢٤هـ): ((الرحمن من الرحمة، وهي رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم، وقد تستعمل تارة في الرقة المجردة، وتارة في الإحسان المجرد دون رقة، وإذا وصف بها البارئ فليس يراد به إلا الإحسان المجرد دون الرقة... الرحيم: وتشترك مع (الرحمن) في أصل مادة الاشتقاق (الرحمة)..)) [٧].

ومن ذلك يتبين أن كلمتي الرحمن والرحيم مشتقتان من الرحمة فمادة الكلمة هي (ر ح م) بمعنى الرقة والتعطف والإحسان ولكن البحث في معنى كلمة رحم اظهر لنا أنها تعني وعاء في بطن الأم تنبت به البويضة الملقّحة إلى أن يتمّ تكوّن الجنين. وجمعه (أرحام). فالرحم للإنسان هو منبته، أي المكان الذي تكوّنت فيه حياته، وبالتالي فإن الأصل الذي أتى منه الرحمن هو

الرحم و العلاقة بينهما وطيدة جدا إذ إن حديثاً قدسيّاً يثبت العلاقة السببية المتينة الموجودة بينهما يقول: ((أنا الله و أنا الرحمن خلقت الرحم و شققت لها من اسمي فمن وصلها وصلته و من قطعها بتته))[٨] فذلك يثبت أن الرحمن و الرحم اشتقاقهما واحد.

دلالات (الرحمن الرحيم) في البسملة:

توطئة:

عندما نفتتح القرآن الكريم، أول ما نقرأ فيه من كلام الله: ((بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ)) (الفاتحة: ١) وتسمى اختصارا البسملة والشكل التركيبي لهذه العبارة فيه ما يلفت الأنظار من عجائب الأسرار ولاسيما أن الله تعالى قد جعل فيها اسمين من أسمائه الحسنى، ولم يجعل غيرهما، وهما الرحمن والرحيم. وقد اقترن لفظ (الرحمن) بلفظ (الرحيم) في ستة مواضع[٩] من السياق القرآني فعزا بعضهم هذا الاقتران إلى ((المبالغة في وصف الله تعالى بالرحمة ليدل بذلك أن نعمة على عباده أكثر وأعظم من كل ما يجوز أن ينعم به سواه وأنه قد أنعم بما لا يقدر أحد أن ينعم بمثله))[١٠]. وقيل: جاء الاقتران بين الصفتين لمدح نفسه جل وعز وقيل: يجوز أن يكون جمع بينهما على جهة التوكيد ومعناهما واحد وفي التوكيد أعظم الفائدة وهو كثير في كلام العرب وقيل: إنما جمع بين الرحمن والرحيم لأن الرحمن عبراني فجاء معه الرحيم بالعربي[١١].

ولعل الجمع بينهما فضلاً عما ذكر قد جاء من باب الاتساع في الكلام فقد كانوا يعبرون عن المعنى الواحد بالألفاظ الكثيرة وهذا مما يكثر في كلام العرب[١٢]. وقيل الجمع بين وصفي (الرحمن الرحيم) إغاظة المشركين فإنهم أبوا وصف الله بالرحمن كما حكى الله عنهم بقوله: ﴿قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ﴾[١٣].

وقيل: (أنه بدئ بذكر (الرحمن) لأنه صار كالعلم اذ كان لا يوصف به إلا الله جل وعز وحكم الإعلام وما كان من الأسماء أعرف أن يبدأ به ثم يتبع الأنكر) [١٤] وقيل تقديم (الرحمن) على (الرحيم): (لأن الصيغة الدالة على الإنصاف الذاتي أولى بالتقديم في التوصيف من الصفة الدالة على كثرة متعلقاتها) [١٥].

و فضلا عما تقدم نستطيع أن نقول: إن في البسملة لمسات جمالية من الناحية الصوتية المأتية من المشاكلة اللفظية للكلمتين (الرحمن و الرحيم) فضلا على المشاكلة المعنوية لهاتين الكلمتين المشتقتين من الرحمة، فكلمة الرحمن جاءت مشاكلة لكلمة الرحيم في الأصوات فحرف الراء ذو الصفة التكرارية تبع بالحاء الحلقي المهموس يلحقه صوت مد يزيد في المبالغة الصوتية و المعنوية كل ذلك ولد جمالية التركيب فضلا على الأسرار الإلهية في البسملة.

فأثار كل ذلك العلماء و أخذوه بالنظر و التدقيق والتأمل والتفكير، فذهبوا أكثر من مذهب في دلالتهما و موقعهما و اشتقاقهما، ومن خلال البحث عن ذلك في كتب اللغة والتفسير، تبين لنا أن للفظة الرحمن ولفظة الرحيم دلالات مختلفة بين العلماء يمكن أن تُجمل فيما يأتي:

١- الدلالة على التجدد و الثبوت.

٢- الدلالة على العموم و الخصوص.

٣- الدلالة على المبالغة في الرحمة.

٤- الدلالة على معنى واحد هو الرحمة.

أولاً: الدلالة على التجدد والثبوت:

بما أن رحمن صيغة مبالغة على وزن (فَعْلان) من الرحمة و رحيم صفة مشبهة على وزن (فَعِيل) لذلك ذهب قسم من العلماء إلى أن صيغة (فَعْلان)

في رحمن تدل على الحدوث و التجدد و ذلك نحو عطشان و جوعان و غضبان. و أن صيغة (فَعِيل) تدل على الثبوت نحو طويل وجميل و قبيح فجمع الله تعالى الوصفين إذ لو اقتصر على رحمن لظُن أنّ هذه صيغة طارئة قد تزول كعطشان وريان. ولو اقتصر على رحيم لظُن أنّ هذه صفة ثابتة، ولكن ليس معناها استمرار الرحمة و تجددها إذ قد تمر على الكريم أوقات لا يكرم فيها. فجاء تعالى بالوصفين للدلالة على أن صفته الثابتة و المتجددة هي الرحمة[١٦].

وقد استحسن هذا الرأي جماعة من العلماء احدهم السيد الطباطبائي (ت١٤٠٢هـ) في الميزان قائلاً: ((الرحمن، فعلان صيغة مبالغة تدل على الكثرة، والرحيم فعيل صفة مشبهة تدل على الثبات والبقاء ولذلك ناسب الرحمن أن يدل علي الرحمة الكثيرة المفاضة على المؤمن والكافر وهو الرحمة العامة، وعلى هذا المعنى يستعمل كثيرا في القرآن، قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[١٧]. وقال: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدّاً﴾[١٨]. إلى غير ذلك، ولذلك أيضا ناسب الرحيم أن يدل على النعمة الدائمة والرحمة الثابتة الباقية التي تقاض على المؤمن كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً﴾[١٩]. وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾[٢٠]. إلى غير ذلك)) [٢١]و إلى ذلك ذهب السيد الخوئي (ت١٤١٣هـ) في البيان في تفسير القرآن إذ قال: ((... فالفارق بين الصفتين: أن الرحيم يدل على لزوم الرحمة للذات وعدم انفكاكها عنها، والرحمن يدل على ثبوت الرحمة فقط))[٢٢] ومن ذلك استنتج السيد محمد محمد صادق الصدر: ((أن رحمة الله تعالى تتصف بكلا الوصفين ، فهي واسعة ومنتشرة من ناحية وثابتة ومستقرة وغير قابله للتزلزل من ناحية أخرى)) [٢٣].

ووجد السيد محمد باقر الحكيم الفرق بين الصيغتين في الدلالة من خلال المبالغة فيهما فقال: ((... يمكن أن نتبين وجود الفرق بين هاتين الصيغتين في الدلالة، وذلك من خلال ملاحظة النكتة في عنصر المبالغة فيهما، فقد لوحظ جانبا المبالغة في السعة والشمول للرحمة في لفظ (الرحمن) وهو ما نعبر عنه (بالبعد الأفقي) لها، بينما الملحوظ في صيغة (الرحيم) جانب المبالغة في الثبات والاستقرار للرحمة، وهو ما نعبر عنه (بالبعد العمودي) لها. فقد تكون الرحمة واسعة وشاملة ولكنها لا تكون مستقرة وثابتة إلى الأبد، بل يمكن أن تتبدل وترفع لأي سبب من الأسباب وتتحول حينئذ إلى عذاب ونقمة..))[٢٤] و لم يستحسن السيد السبزواري هذا المذهب من العلماء ورده واصفاً إياه بالمخدوش لان ذلك يصح ((بالنسبة إلى ذات اللفظين حين الإطلاق على المخلوق، أما من حيث إضافتهما إلى الله عز وجل فلا وجه للمبالغة بالنسبة إليه تعالى؛ لان صفاته بالنسبة إليه تعالى غير محدودة فلا تجري المبالغة فيها))[٢٥] وقد قال السيد السبزواري: ((و أما في بعض التفاسير من أن فعلان لا يدل على الثبوت بخلاف فعيل، وإنما ذكر تعالى الرحيم لأجل إظهار ثبوت الرحمة بالنسبة إليه تعالى. مخدوش، لان التفرقة بين اللفظين إنما تصح في الممكنات دون الواجب تبارك و تعالى))[٢٦].

ومن ذلك يتبين أن القول بدلالة فعلان وفعيل على التجدد و الثبوت قد قال به أصحاب التفاسير ورده السيد السبزواري، وتابع ذلك الدكتور فاضل السامرائي في كتابيه (لمسات بيانية في نصوص من التنزيل ، ومعاني الأبنية في العربية) إذ قال: ((الرحمن فعلان من الرحمة و الرحيم فعيل منها. وصيغة فعلان تفيد الدلالة على الحدوث و التجدد... و صيغة فعيل تدل على الثبوت في الصفة... فجاء بالوصفين للدلالة على أن صفته الثابتة و المتجددة هي الرحمة للاحتياط في الوصف. فانه لو وصف نفسه بأنه رحيم فقط لوقع في

النفس أن هذا وصفه الثابت ولكن قد يأتي وقت لا يرحم فيه كالكريم والخطيب. ولو قال رحمن فقط لظُن أن هذا وصف غير ثابت كالغضبان والعطشان وهذا الوصف يتحول فيذهب الغضب ويزول العطش، وكذلك الرحمة، فجمع بينهما ليدل على أن وصفه الثابت والمتجدد هو الرحمة، فرحمته دائمة لا تنقطع و هو من أحسن الجمع بين الوصفين ولا يؤدي الوصف بأحدهما ما يؤدي اجتماعهما.))[٢٧] وقد ضرب الدكتور السامرائي لذلك مثلاً من لغتنا الدارجة إذ قال: ((تقول هو ضعفان إذا أردت الحدوث فإذا أردت الثبوت قلت: هو ضعيف، وكذلك سمنان و سمين. إلا ترى انك تقول لصاحبك: أنت ضعفان فيرد عليك: أنا منذ نشأتي ضعيف، وتقول له: أراك طولان، فيقول: أنا طويل منذ الصغر))[٢٨].

وقد لا يمكن التسليم بذلك؛ إذ السامرائي اعتمد على تحليل بنية ((فعلان وفعيل)) دون النظر إلى ما احتملته من ظلالٍ معنوية بعد أن اختصت باسمه تعالى، ولاسيما أن الرحمن اسم من أسمائه تعالى، ولم يتسَمَّ به أحدٌ غيره تعالى، أما الرحيم فهو من صفته هذا ما حقَّقَه العلماء فقد قالوا: إن الرحمن اسم، والرحيم صفة[٢٩] وهاتان الصفتان يطلق عليهما العلماء اسم الصفة النفسية أو الفعلية، فالصفة النفسية هي الصفة القائمة بذاته تعالى، والصفة الفعلية هي التي تتعلق بفعله سبحانه في خلقه[٣٠]. ولاشك في أن الصفة القائمة بالذات أدلّ على الثبوت من الصفة التي تتعلق بالفعل والحدث، ومن هنا قال العلماء باسمية الرحمن، وأنه ((عَلَمٌ مختصٌّ بالله تعالى لا يشاركه فيه غيره، فليس هو كالصفات، التي هي العليم والقدير والسميع والبصير؛ ولهذا تجري على غيره تعالى... ولما كان هذا الاسم مختصاً به تعالى حسن مجيؤه مفرداً غير تابع، كمجيء اسم الله كذلك)) [٣١].

فظهر أن الرحمن اسم وصفة لا ينافي أحدهما الآخر، وجاء استعمال

القرآن بالأمرين جميعا ، وهو أدلّ على الثبوت من الرحيم لعلميته واختصاصه، وعدم وقوعه تابعا كالصفات. وفضلاً عن ذلك أنّ الرحيم معدول عن راحم، وراحم اسم فاعل، وليس كاسم الفاعل في الدلالة على الحدوث والتجدُّد؛ وإنما عُدِل بفعيل إلى فاعل في هذه البنية؛ لأنه مأخوذ من ((فعِل يفعَل)) وهذا البابِ هو باب الصفات العارضة، كما حقَّق ذلك الدكتور السامرائي نفسه(٣٢).

فـ(فعيل) من هذا الباب لا يدلُّ على الثبوت؛ وإنما الذي يدلُّ على الثبوت هو فعيل الذي من باب ((فَعُل - يفعُل))، باب السجايا والطباع الدالة على الثبوت، كشرُف فهو شريف وعظُم فهو عظيم، وغيره، فالثبوت في بنية فعيل إنما هو متأتٍّ من بنية فعلِه اللازم، الذي هو على الباب الخامس؛ وإنما حمل الرحيم وغيره على هذا الباب للمبالغة في الوصف، وليس في فعله معنى الثبوت.وبقي أن نقول في هذا الباب: إن النظر إلى الحدوث والثبوت يجب أن تراعى فيه أصل البنية، فبنية فعيل وفعلان قبل اختصاصهما بأسماء الصفات؛ إنما هما من أبنية المبالغة في ((رحمن ورحيم))، وليست من أبنية الصفة المشبهة؛ وذلك لأن فعلهما فعلٌ متعدٍّ، ولا تأتي الصفة المشبهة من المتعدِّي إلاَّ شذوذا(٣٣).

ثانياً: الدلالة على العموم و الخصوص:

من المعاني التي تدل عليها صيغتا فعلان وفعيل في البسملة العموم والخصوص. فالرحمن بجميع الخلق و الرحيم بالمؤمنين فقط، أو إن الرحمن في الدنيا و الآخرة و الرحيم في الآخرة فقط. وقد تدل الصيغتان على عكس هذه الدلالة فيكون الرحمن خاص بالله تعالى و الرحيم عام مشترك فيقال: رجل رحيم و لا يقال رحمن.

وقد قال بهذه الدلالة فريق من العلماء، و لم يستحسن الفريق الأخر

ذلك. إذ نقل الطبري (ت٣١٠هـ) قوله:((... الرحمن بجميع الخلق و الرحيم.. بالمؤمنين)) [٣٤]و يقول أيضاً: ((قال رسول الله ﷺ: إن عيسى بن مريم قال: الرحمن رحمن الآخرة و الدنيا، و الرحيم رحيم الآخرة))[٣٥] وقد استحسن الطبري كلا القولين لأن ((.. الرحمن موصوف بعموم الرحمة جميع خلقه، إما في كل الأحوال، و إما في بعض الأحوال))[٣٦].

وقد رد هذا الرأي السيد الخوئي في بيانه و السيد السبزواري في مواهبه والسيد الحكيم في تفسير سورة الحمد. اذ قال السيد الخوئي: ((... ورد في بعض الروايات: أن (الرحمن) اسم خاص ومعناه عام وأما لفظ (الرحيم) فهو اسم عام، ومعناه خاص ومختص بالآخرة أو بالمؤمنين،إلا أنه لا مناص من تأويل هذه الروايات أو طرحها، لمخالفتها الكتاب العزيز، فانه قد استعمل فيه لفظ " الرحيم من غير اختصاص بالمؤمنين أو بالآخرة ففي الكتاب العزيز ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٣٧]. ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[٣٨]. ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾[٣٩] و﴿رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً﴾[٤٠]. ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاء أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً﴾[٤١]. إلى غير ذلك من الآيات الكريمة، وفي بعض الأدعية والروايات: ((رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما))[٤٢]. ويمكن أن يوجه هذا الاختصاص بأنّ الرحمة الإلهية إذا لم تنته إلى الرحمة في الآخرة، فكأنها لم تكن رحمة وما جدوى رحمة تكون عاقبتها العذاب والخسران؟ فإنّ الرحمة الزائلة تندك أمام العذاب الدائم لا محالة، وبلحاظ ذلك صح أن يقال: الرحمة مختصة بالمؤمنين أو بالآخرة.))[٤٣].

ولم يقبل السيد السبزواري القول بذلك لان ((العوالم بالنسبة إليه تبارك وتعالى في عرض واحد وانه محيط بالزمان والزمانيات وخارج عنهما إلا أن

يلحظ ذلك بالنسبة إلى المخلوق وقد ورد الرحمن بالنسبة إلى الآخرة في قوله تعالى: ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ﴾[٤٤]... كما ورد الرحيم بالنسبة إلى الدنيا في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾[٤٥].))[٤٦] وقد رد قول من قال إن الرحيم عام للجميع و الرحيم خاص بالمؤمنين قائلاً: ((.. وهو أيضا مردود فإن ذكر بعض الأفراد و أشرفها لا يدل على نفي ما عداه))[٤٧].

وقال السيد محمد باقر الحكيم راداً هذا المذهب: ((ويمكن أن نلاحظ على هذا الفرق بأننا نجد أن كلمة (رحيم) تعني من شملت رحمته كل شيء أيضا المؤمن والكافر في الدنيا والآخرة، شأنها شأن كلمة (رحمان)، إذ ورد في الاثر: "يا رحمان الدنيا والآخرة ورحيمهما".))[٤٨].

ثالثاً: الدلالة على المبالغة في الرحمة:

يذهب أصحاب هذا الرأي إلى أن لفظتي الرحمن والرحيم تدلان على المبالغة في الرحمة و عندهم أن لفظة الرحمن أكثر مبالغة في الرحمة من الرحيم فيتولد تدرج في الرحمة بين الرحمن والرحيم.

إذ جاء في الكشاف: ((... وفي الرحمن من المبالغة ما ليس في الرحيم ولذلك قالوا: رحمان الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا ويقولون: إن الزيادة في البناء لزيادة المعنى.))[٤٩] وقال أبو هلال العسكري: ((وعندنا أن الرحيم مبالغة لعدوله، وأن الرحمن أشدُّ مبالغة؛ لأنه أشدُّ عدولاً، وإذا كان العدول على المبالغة كلما كان أشد عدولاً كان أشد مبالغة))[٥٠].

فمعنى المبالغة في الرحمن متأتّ لما فيه من سعة هذا الوصف وثبوت جميع معناه للموصوف به، فهم يقولون: غضبان للممتلئ غضباً، وندمان وحيران وسكران ولهفان لمن مُليء بذلك، فبناء فعلان للسعة والشمول[٥١]. إذ قال

تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (الاعراف: ١٥٦) فلذلك تكون ((الرحمة الشاملة لكل محتاج إليها وبجميع مراتبها التفضيلية بلا اختصاص لها بنوع دون نوع من الجماد والنبات والحيوان والإنسان وسائر المخلوقات فلأجل إهمال المتعلق استفيد العموم والشمول لجميع الأنواع الممكنة..))[٥٢] ومن ذلك يتبين أن صيغة الرحمن تدل ((على المبالغة والكثرة في الرحمة مع السعة والشمول، وأما صيغة الرحيم فهي تدل على المبالغة والكثرة في الرحمة، لكن دون هذه السعة والشمول، أي دلالتها على الكثرة في جانب الكم فقط، لا الكم والكيف))[٥٣] وذهب السيد الصدر إلى أن الرحمة في الرحمن واسعة ثابتة، وفي الوقت نفسه فإن الرحمة في الرحيم تكون خاصة واسعة وإن لم تكن واسعة لكل الخلق ولكنها واسعة لكل مستحقيها وطالبيها[٥٤]. ورأى السيد الحكيم أن الرحمن تدل على سعة رحمة الله تبارك وتعالى، بينما تدل الثانية على استمرار هذه الرحمة واستقرارها[٥٥].

رابعاً: الدلالة على التوكيد:-

وهذه الدلالة مفادها أن لفظتي الرحمن والرحيم في البسملة كُرِّرَتا دلالة على التوكيد للرحمة فقد قال قطرب (ت٢١٦هـ): ((يجوز أن يكون جمع بينهما للتوكيد وهذا قول حسن وفي التوكيد أعظم الفائدة وهو كثير في كلام العرب)) [٥٦] وقال الجوهري (ت٣٩٣هـ): ((ويجوز تكرير الاسمين إذا اختلف اشتقاقهما على وجه التأكيد كما يقال فلان جاد مجد)) [٥٧] وقد رد ذلك السيد محمد باقر الحكيم بقوله: ((فما نرجحه - إذن - هو أن يكون للفظة الرحمن معنى مغاير للفظة الرحيم وأن إحداهما ليست تكرارا للأخرى))[٥٨].

خامساً: الدلالة على معنىً واحد هو الرحمة:-

الرحمن والرحيم عند أصحاب هذه الدلالة لفظان مختلفان يؤديان معنى

واحداً وهو الرحمة، أي أنهما يدلان على كلمة واحدة مع اختلاف لفظيهما وقد كرّرا لضرب من التوكيد إذ جاء في الصحاح: ((الرحمن والرحيم اسمان مشتقان من الرحمة، ونظيرهما في اللغة نديم وندمان، وهما بمعنى، ويجوز تكرير الاسمين إذا اختلف اشتقاقهما على جهة التوكيد كما يقال فلان جاد مجد)) (٥٩).

وقال السيد الصدر: ((ويمكننا أيضا أن نركّب بينهما فيكون (الرحمن الرحيم اسما واحدا فنفس الرحمة واسعة وهي ثابتة فكانهما صفتان لشيء واحد وهي مادة الرحمة))(٦٠).

وهناك دلالات أخرى للصيغتين إذ نقل عن ابن عباس انه قال: ((الرحمن الفعلان من الرحمة، وهو من كلام العرب. قال: الرحمن الرحيم: الرقيق الرفيق بمن أحب أن يرحمه، والبعيد الشديد على من أحب أن يعنف عليه))(٦١) وقيل إن لفظة الرحمن ليست بعربية، وإنما هي ببعض اللغات مستدلا بقوله تعالى ﴿قَالُوا وَمَا الرَّحْمَانُ﴾ إنكارا منهم لهذا الاسم(٦٢). وقد رد بأنه ليس بصحيح لأن هذه اللفظة مشهورة عند العرب موجودة في أشعارها، قال الشنفرى:

ألا ضربت تلك الفتاة هجينها ألا قضب الرحمن ربي يمينها

وقال سلامة بن جندل: ((وما يشأ الرحمن يعقد ويطلق))(٦٣).

ورد ذلك الطبري قائلاً: ((وقد زعم بعض أهل الغباء أن العرب كانت لا تعرف الرحمن ولم يكن ذلك في لغتها ولذلك قال المشركون للنبي ﷺ: وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا إنكارا منهم لهذا الاسم. كأنه كان محالا عنده أن ينكر أهل الشرك ما كانوا عالمين بصحته، أو كأنه لم يتل من كتاب الله قول الله: الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه يعني محمدا كما يعرفون أبناءهم وهم مع

ذلك به مكذبون، ولنبوته جاحدون. فيعلم بذلك أنهم قد كانوا يدافعون حقيقة ما قد ثبت عندهم صحته واستحكمت لديهم معرفته. وقد أنشد لبعض الجاهلية الجهلاء:

ألا ضربت تلك الفتاة هجينها ألا قضب الرحمن ربي يمينها

وقال سلامة بن جندل الطهوي:

عجلتم علينا عجلتينا عليكم وما يشاء الرحمن يعقد ويطلق))[٦٤]

و ربما كل هذه المعاني المذكورة في تفسير دلالة الرحمن و الرحيم مطلوبة و لا يتم المعنى إلا بها جميعا، و هي جميعها صحيحة لأنها من باب التوسع في المعنى[٦٥].

الخاتمة:ـ

وفي نهاية هذا البحث يمكننا أن نثبت مجموعة من النتائج المقتطفة و هي كالآتي:

- اختلف العلماء في تفسيرهم دلالة الرحمن والرحيم فكثرت أقوالهم في ذلك، ولاشك في أن كل ما قالوه من معان كانت تصب في خدمة المعنى العام للبسملة وكل هذه المعاني مطلوبة مرادة وهي من باب التوسع في المعنى.
- إن الرحمن اسم من أسماء الله تعالى وهو خاص به لا يسمى به غيره دال على ذات الله ولا يدل على التجدد والحدوث لأنه اسم ثابت.
- الرحيم لا يدل على الثبوت وإنما الذي يدل على الثبوت ما اخذ من باب (فعُل يفعُل) مثل شرف يشرف وكرم يكرم وعظم يعظم كعظيم وكريم اما رحيم فمشتق من رَحَمَ يرحم فهو فعيل.

- جاء الرحمن مشاكلا للرحيم في اللفظ من حيث الأصوات وفي المعنى من اشتقاقهما من الرحمة فزاد ذلك في جمالية البسملة الصوتية.

هوامش البحث

(١) ينظر لسان العرب: ٢٢٨/٢١- ٢٣٠، ومختار الصحاح: ١٣٠.
(٢) مقاييس اللغة: ٢ / ٤٩٨.
(٣) جامع البيان: ٥٨٤/١.
(٤) مجمع البيان: ٥٢/١.
(٥) البيان في تفسير القرآن: ٤٢٨.
(٦) مواهب الرحمن: ١٥/١.
(٧) تفسير سورة الحمد: ١٥٥.
(٨) مجمع البيان: ٥/٣.
(٩) ينظر سورة الفاتحة: ١ و ٣، سورة البقرة: ١٦٣، سورة النمل: ٣٠، سورة فصلت: ٢، سورة الحشر: ٢٢.
(١٠) المخصص: مجلد ٥، سفر ١٧، صفحة ١٥١.
(١١) ينظر الزاهر: ١ / ١٥٣، والجامع لأحكام القرآن: ١ / ١٠٥.
(١٢) ينظر المنصف: ١ / ١٥.
(١٣) ينظر التحرير والتنوير: ٢ / ٧٦.
(١٤) المخصص: مجلد ٥، سفر ١٧، صفحة ١٥١.
(١٥) التحرير والتنوير: ١ / ١٧٢.
(١٦) يُنظر: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل: ٢٢٧، ومعاني الابنية في العربية:٩١.
(١٧) طه: ٥.
(١٨) مريم: ٧٥.
(١٩) الأحزاب: ٤٣.
(٢٠) التوبة: ١١٧.
(٢١) الميزان: ١٨/١-١٩.
(٢٢) البيان في تفسير القرآن: ٤٣٠.
(٢٣) منة المنان في الدفاع عن القرآن: ٤٥.
(٢٤) تفسير سورة الحمد: ١٥٧.

(٢٥) مواهب الرحمن:١٥/١ - ١٦.
(٢٦) نفسه: ١٦/١.
(٢٧) لمسات بيانية: ٢٧.
(٢٨) معاني الأبنية: ٩١.
(٢٩) ينظر: جامع البيان: ٥٨/١، ولسان العرب ٢٣١/١٢، والتبيان في تفسير غريب القرآن /٥٠.
(٣٠) ينظر: معنى لا إله إلا الله: ١ / ١٣٣.
(٣١) بدائع الفوائد: ١ / ٢٧.
(٣٢) ينظر: معاني الأبنية في العربية: ٧٨.
(٣٣) يُنظر: دَقائِقُ الفُرُوقِ اللُّغَوِيَّةِ فِي البَيَانِ القُرآنِيّ، اطروحة دكتوراه، محمد ياس خضر الدوري،كلية التربية، جامعة بغداد ٢٠٠٥، ص: ٢٧٨-٢٨٣.
(٣٤) جامع البيان: ٨٥/١٠،ويُنظر: معاني القرآن للنحاس:٥٣/١.
(٣٥) جامع البيان: ٨٥/١.
(٣٦) نفسه.
(٣٧) إبراهيم: ٣٦.
(٣٨) الحجر: ٤٩.
(٣٩) الحج: ٦٥.
(٤٠) الإسراء: ٦٦.
(٤١) الأحزاب: ٢٤.
(٤٢) الصحيفة السجادية: ٣٠٨.
(٤٣) البيان: ٤٣٠-٤٣١.
(٤٤) الفرقان: ٢٦.
(٤٥) النساء: ٢٩.
(٤٦) مواهب الرحمن: ١٦/١.
(٤٧) نفسه:١٦/١-١٧.
(٤٨) تفسير سورة الحمد: ١٥٧.
(٤٩) الكشاف: ٣٤/١.
(٥٠) الفروق اللغوية: ١٦٠ - ١٦١.
(٥١) ينظر: التفسير القيم /٣٣، ومعاني الأبنية في العربية / ٩٣.
(٥٢) مواهب الرحمن:/ ١٧/١.
(٥٣) تفسير سورة الحمد: ١٥٦-١٥٧.
(٥٤) يُنظر: منة المنان: ٤٦.

(٥٥) يُنظر: تفسير سورة الحمد: ١٥٨.
(٥٦) معاني القرآن للنحاس: ٥٤/١.
(٥٧) الصحاح: ١٩٢٩/٥، مختار الصحاح: ١٣٠.
(٥٨) تفسير سورة الحمد: ١٥٨.
(٥٩) الصحاح:١٩٢٩/٥، و اللسان: ٢٣١/٢١.
(٦٠) منة المنان: ٤٥.
(٦١) جامع البيان: ٨٦/١.
(٦٢) يُنظر: مجمع البيان: ٥٢/١.
(٦٣) يُنظر: المصدر نفسه.
(٦٤) جامع البيان: ٨٧/١-٨٨.
(٦٥) يُنظر: الجملة العربية و المعنى: ١٧٧.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم.

ثانيا: الكتب المطبوعة.

- بدائع الفوائد: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي المعروف بابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ) تحـ: هشام عبد العزيز عطا وعادل عبد الحميد العدوي وأشرف أحمد، مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة، ط ١، ١٤١٦هـ.
- البيان في تفسير القرآن للامام الاكبر زعيم الحوزة العلمية السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي (ت١٤١٣هـ) الطبعة الرابعة دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان ١٣٩٥ - ١٩٧٥م.
- تاج اللغة وصحاح العربية تأليف إسماعيل بن حماد الجوهري تحقيق أحمد عبد الغفور عطار الجزء الاول دار العلم للملايين بيروت لبنان ١٩٨٧م.
- التبيان في تفسير غريب القرآن: شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري ((ت٨١٥هـ))، تحـ: د.فتحي أنور الدابولي، دار الصحابة للتراث بطنطا - القاهرة، ط / ١، ١٩٩٢م.

- تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد المسمى (تفسير التحرير والتنوير)، محمد الطاهر بن عاشور (ت١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر مكتبة الأمين، النجف الأشرف، (د.ط)، (د.ت).

- تفسير سورة الحمد: السيد محمد باقر الحكيم،الطبعة الاولى، مجمع الفكر الإسلامي قم ١٤٢٠.

- التفسير القيم: ابن قيم الجوزية، جمع: محمد أويس الندوي، مطبعة السنة المحمدية ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م.

- جامع البيان عن تأويل آي القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر ((ت٣١٠هـ))، دار الفكر - بيروت، ١٤٠٥هـ.

- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت٦١٧هـ)، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، الجمهورية العربية المتحدة، (د.ط)، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

- الجملة العربية و المعنى: الدكتور محمد فاضل صالح اسامرائي، الطبعة الاولى، دار ابن حزم، بيروت لبنان ٢٠٠٠.

- دَقائِقُ الفُرُوقِ اللُّغَوِيَّةِ فِي البَيَانِ القُرآنِيّ: محمد ياس خضر الدوري، اطروحة دكتوراه، كلية التربية، جامعة بغداد ٢٠٠٥.

- الزاهر في معاني كلمات الناس، أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري (ت٣٢٨هـ)، تحقيق: د. حاتم الضامن، الجمهورية العراقية، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

- الصحيفة الجامعة لادعية الامام السجاد، زين العابدين " علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام " تحقيق ونشر: مؤسسة الامام المهدي عليه السلام. الطبعة: الاولى ١٤١١ هـ.ق مؤسسة الامام المهدي عليه السلام قم المقدسة. مؤسسة الانصاريان للطباعة والنشر شارع الشهداء - قم - ايران.

- الفروق اللغوية: أبو هلال العسكري، ضبطه وحققه: حسام الدين القدسي، دار الكتب العلمية - بيروت لبنان.

- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: محمود بن عمر الزمخشري، رتبه وضبطه: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية - بيروت، ط / ١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

- لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت ٧١١هـ)، دار صادر - بيروت، ط / ١ ، ١٩٦٨م.

- لمسات بيانية في نصوص من التنزيل: د.فاضل السامرائي، دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد ١٩٩٩م.

- مجمع البيان في تفسير القرآن : الفضل بن الحسن الطبرسي (ت٥٦٠هـ) تحـ:لجنة من العلماء والمحققين، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

- مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت في حدود ٧٠٠هـ) تحـ: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

- المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده النحوي، دار الفكر (د.ت).

- معاني الأبنية في العربية: د. فاضل السامرائي، ساعدت جامعة بغداد على نشره، ط / ١، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

- معاني القرآن: أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي أبو جعفر النحاس (ت٣٣٨هـ) تحـ: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، ط / ١، ١٤٠٩هـ

- معنى لا إله إلا الله: بدر الدين الزركشي (ت٧٩٤هـ) تحـ: علي محيي الدين علي القره داغي ، دار الاعتصام - القاهرة، ط / ١، ١٩٨٥م.

- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ)، تحقيق عبدالسلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

- منة المنان في الدفاع عن القرآن آية الله العظمى السيد الشهيد محمد محمد صادق الصدر (ت١٩٩١م) الطبعة الأولى، مطبعة الكوثر قم إيران ١٤٢٦هـ.

- المنصف، شرح أبو الفتح عثمان بن جني النحوي لكتاب التصريف للإمام أبي عثمان المازني النحوي، تحقيق: إبراهيم مصطفى، عبدالله أمين، إدارة إحياء التراث القديم، مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط١، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م.

- مواهب الرحمن في تفسير القرآن: آية الله العظمى السيد عبد الأعلى الموسوي السبزواري، الطبعة الأولى، مطبعة الديوان، بغداد ١٤٠٩هـ.

- الميزان في تفسير القران:العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (ت١٤٠٢هـ) قدس سره، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة.